

الغدير

[384] وأما مؤدى هذه الروايات الثلاث فكبقية أخبار الملاحم، لا يستنبع منها مدح أصحابها أو قدح، إلا إذا قايسناها بأعمال معاویة المباينة لها في الخارج، المضادة لما جاء فيها من العهد والوصية، فلم يكن ممن ملك فأحسن، ولا ممن ولی فاتقى وعدل، ولا ممن قبل من محسن، وعفى عن مسء، فماذا عسى أن يجديه مثل هذه البشائر - وليس هي ببشرى بل إقامة حجة عليه وهو غير متصف بما أمر به فيها ؟ وكل ما ناء به في منتهى عن الاحسان والعدل والتقوى، وكان صلى الله عليه وآلـه وسلم يعلم أنه لا يعمل بشئ من ذلك لكنه أراد إتمام الحجة عليه على كونها تامة عليه بعمومات الشريعة وإطلاقاتها، فأين هي من - التبشير بأن ما يليه من الملك العضوض ملوكية صالحـة، فضلا عن الخلافة عن الله ورسوله صلى الله عليه وآلـه وقد جاء عنه صلى الله عليه وآلـه في ذلك الملك قوله: إن فيه هنـات وهنـات وهنـات (1) وقوله صلى الله عليه وآلـه: يا معاویة ! إنك إن اتبعت عورات الناس أفسدتهم أو كدت أن تفسدهم (2) إلى كلمـات أخرى فيه وفي ملـكه. ولو كان ابن حجر مـمن يـعرف لـحنـ الكلام ومعاريفـ المحاورـات، ولم يكن في أذنه وـقر، وفي بصرـه عـمى ؟ لـعلمـ أنـ الروـاـيـاتـ المـذـكـورـةـ بـأـنـ تكونـ ذـمـومـاـ لـمعـاوـيـةـ أـولـىـ منـ أـنـ تكونـ مـدـائـحـ لـهـ لـمـاـ قـلـنـاهـ،ـ وـإـلـاـ لـمـاـ أـمـرـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ بـقـتـلـهـ إـذـاـ رـأـيـ عـلـىـ مـنـبـرـهـ،ـ وـلـمـاـ أـعـلـمـ النـاسـ بـأـنـ وـطـغـمـتـهـ هـمـ الفـئـةـ الـبـاغـيـةـ الـمـتـوـلـيـةـ قـتـلـ عـمـارـ،ـ وـلـمـاـ رـأـهـ وـحـزـبـهـ مـنـ القـاسـطـينـ الـذـيـنـ يـجـبـ قـتـالـهـ،ـ وـلـمـاـ أـمـرـ خـلـيـفـتـهـ حـقاـ الإمامـ أمـيرـ المؤـمنـينـ عـلـيـهـ السـلـامـ بـقـتـالـهـ،ـ وـلـمـاـ وـكـانـ بـشـائـرـ هـمـ الـفـئـةـ الـبـاغـيـةـ الـمـتـوـلـيـةـ قـتـلـ عـمـارـ،ـ وـلـمـاـ رـأـهـ وـحـزـبـهـ مـنـ القـاسـطـينـ الـذـيـنـ يـجـبـ قـتـالـهـ،ـ وـلـمـاـ أـعـلـمـ النـاسـ بـأـنـ وـطـغـمـتـهـ هـمـ الـفـئـةـ الـبـاغـيـةـ الـمـتـوـلـيـةـ قـتـلـ عـمـارـ،ـ وـلـمـاـ دـاـ كـانـ ذـلـكـ اللـوـمـ وـالـتـأـنـيبـ لـهـ مـنـ وـجـوـهـ الصـحـابـةـ ؟ـ لـمـاـ مـنـتـهـ هـوـاجـسـهـ بـتـسـنـ عـرـشـ الـخـلـافـةـ،ـ وـالـاقـعـاءـ عـلـىـ صـدـرـ دـسـتهاـ،ـ وـلـيـسـ ذـلـكـ إـلـاـ مـنـ نـاحـيـةـ إـدـعـائـهـ مـاـ لـيـسـ لـهـ،ـ وـطـمـعـهـ فـيـماـ لـمـ يـكـنـ لـهـ بـحـقـ،ـ وـنـزـاعـهـ فـيـ أـمـرـ لـيـسـ لـلـطـلـقـاءـ فـيـهـ نـصـيـبـ.ـ هـذـهـ عـمـدةـ مـاـ جـاءـ بـهـ اـبـنـ حـجـرـ فـلـمـ ذـاـ كـانـ ذـلـكـ اللـوـمـ وـالـتـأـنـيبـ لـهـ مـنـ وـجـوـهـ الصـحـابـةـ ؟ـ لـمـاـ مـنـتـهـ هـوـاجـسـهـ بـتـسـنـ عـرـشـ الـخـلـافـةـ،ـ وـالـاقـعـاءـ عـلـىـ صـدـرـ دـسـتهاـ،ـ وـلـيـسـ ذـلـكـ إـلـاـ مـنـ نـاحـيـةـ إـدـعـائـهـ مـاـ لـيـسـ لـهـ،ـ وـطـمـعـهـ فـيـماـ لـمـ يـكـنـ لـهـ بـحـقـ،ـ وـنـزـاعـهـ فـيـ أـمـرـ لـيـسـ لـلـطـلـقـاءـ فـيـهـ نـصـيـبـ.ـ هـذـهـ عـمـدةـ مـاـ جـاءـ بـهـ اـبـنـ حـجـرـ الدـفـاعـ عـنـ مـعـاوـيـةـ،ـ وـأـمـاـ بـقـيـةـ كـلـامـهـ الـمـشـوـهـ كـلـمـاتـ أـخـرىـ فـيـهـ وـفـيـ مـلـكـهـ.ـ وـلـوـ كـانـ اـبـنـ حـجـرـ مـمـنـ يـعـرـفـ لـهـ لـحـنـ الـكـلـامـ وـمـعـارـيفـ الـمـحـاـوـرـاتـ،ـ وـلـمـ يـكـنـ فـيـ أـذـنـ وـقـرـ،ـ وـفـيـ بـصـرـهـ عـمـىـ ؟ـ لـعـلـمـ أـنـ الـرـوـاـيـاتـ الـمـذـكـورـةـ بـأـنـ تكونـ ذـمـومـاـ لـمـعـاوـيـةـ أـولـىـ منـ أـنـ تكونـ مـدـائـحـ لـهـ لـمـاـ قـلـنـاهـ،ـ وـإـلـاـ لـمـاـ أـمـرـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ بـقـتـلـهـ إـذـاـ رـأـيـ عـلـىـ مـنـبـرـهـ،ـ وـلـمـاـ أـعـلـمـ النـاسـ بـأـنـ وـطـغـمـتـهـ هـمـ الـفـئـةـ الـبـاغـيـةـ الـمـتـوـلـيـةـ قـتـلـ عـمـارـ،ـ وـلـمـاـ رـأـهـ وـحـزـبـهـ مـنـ القـاسـطـينـ الـذـيـنـ يـجـبـ قـتـالـهـ،ـ وـلـمـاـ أـعـلـمـ النـاسـ بـأـنـ وـطـغـمـتـهـ هـمـ الـفـئـةـ الـبـاغـيـةـ الـمـتـوـلـيـةـ قـتـلـ عـمـارـ،ـ وـلـمـاـ دـاـ كـانـ ذـلـكـ اللـوـمـ وـالـتـأـنـيبـ لـهـ مـنـ وـجـوـهـ الصـحـابـةـ ؟ـ لـمـاـ مـنـتـهـ هـوـاجـسـهـ بـتـسـنـ عـرـشـ الـخـلـافـةـ،ـ وـالـاقـعـاءـ عـلـىـ صـدـرـ دـسـتهاـ،ـ وـلـيـسـ ذـلـكـ إـلـاـ مـنـ نـاحـيـةـ إـدـعـائـهـ مـاـ لـيـسـ لـهـ،ـ وـطـمـعـهـ فـيـماـ لـمـ يـكـنـ لـهـ بـحـقـ،ـ وـنـزـاعـهـ فـيـ أـمـرـ لـيـسـ لـلـطـلـقـاءـ فـيـهـ نـصـيـبـ.ـ هـذـهـ عـمـدةـ مـاـ جـاءـ بـهـ اـبـنـ حـجـرـ أـمـرـ خـلـيـفـتـهـ حـقاـ الإمامـ أمـيرـ المؤـمنـينـ عـلـيـهـ السـلـامـ بـقـتـالـهـ،ـ وـلـمـاـ حـثـ صـحـابـتـهـ الـعـدـولـ بـمـنـاـضـلـتـهـ وـمـكـاـشـفـتـهـ،ـ وـلـمـاـ وـلـمـاـ...ـ وـلـوـ كـانـ هـذـهـ الـرـوـاـيـاتـ صـادـقةـ،ـ وـكـانـ بـشـائـرـ،ـ وـقدـ

عرفتها صاحبة رسول الله صلى الله عليه وآله كذلك، فلما ذاك كان ذلك اللوم والتأنيب له من وجوه الصحابة؟ لما منته هواجسه بتسم عرش الخلافة، والاقعاء على صدر دستها، وليس ذلك إلا من ناحية إدعائه ما ليس له، وطمعه فيما لم يكن له بحق، ونزاعه في أمر ليس للطلقاء فيه نصيب. هذه عمدة ما جاء به ابن حجر في الدفاع عن معاوية، وأما بقية كلامه المشوه بالسباب المقدع فنمر بها كrama، إقرأوا حكم.

---

(1) الخصائص الكبرى 2: 116. (2) سنن أبي داود 2: 299.